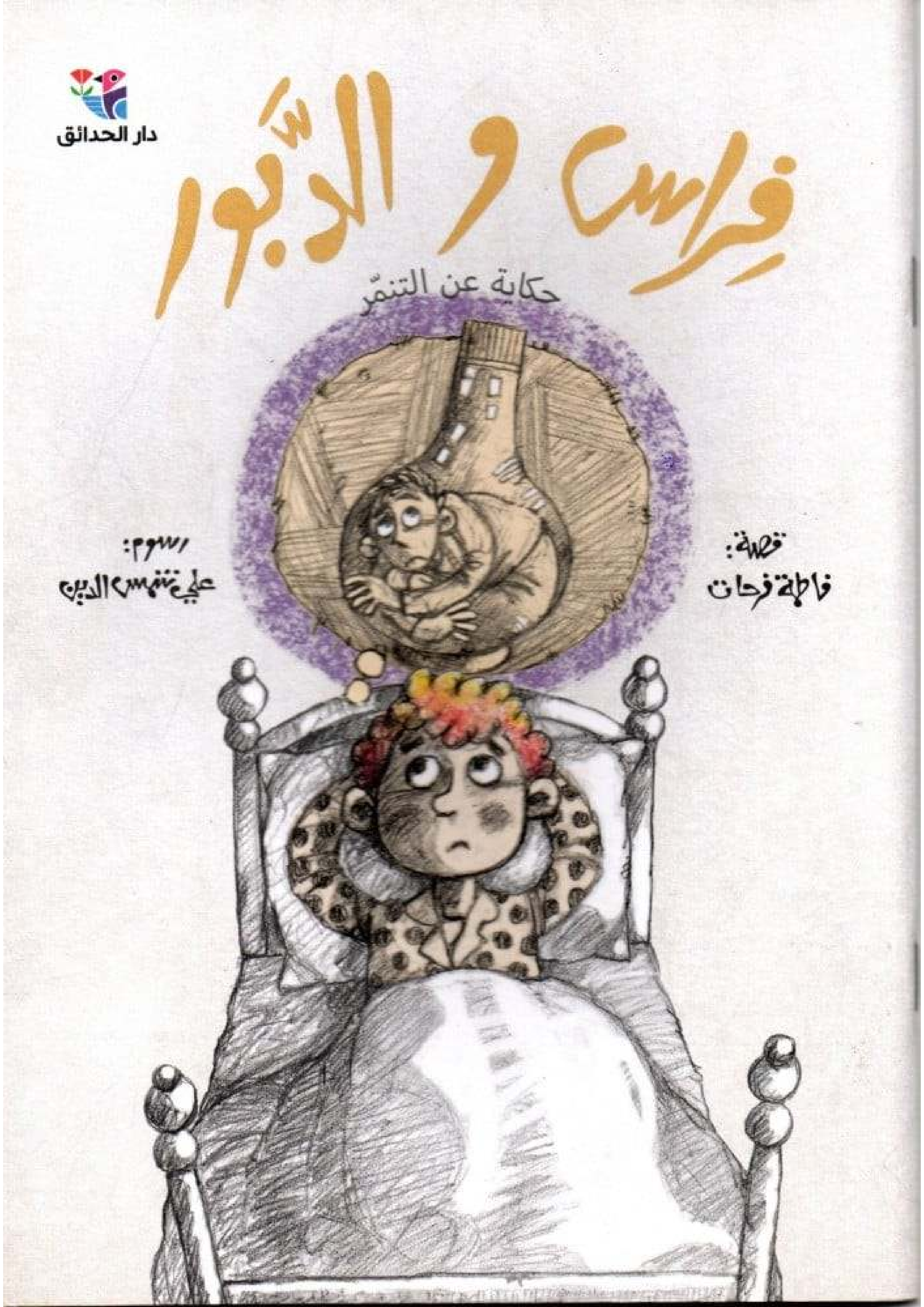

دار الحدائق
فِراس والدَّبُّور
حكاية عن التنمّر
قصة:
فاطمة فرحات
رسوم:
علي شمس الدين

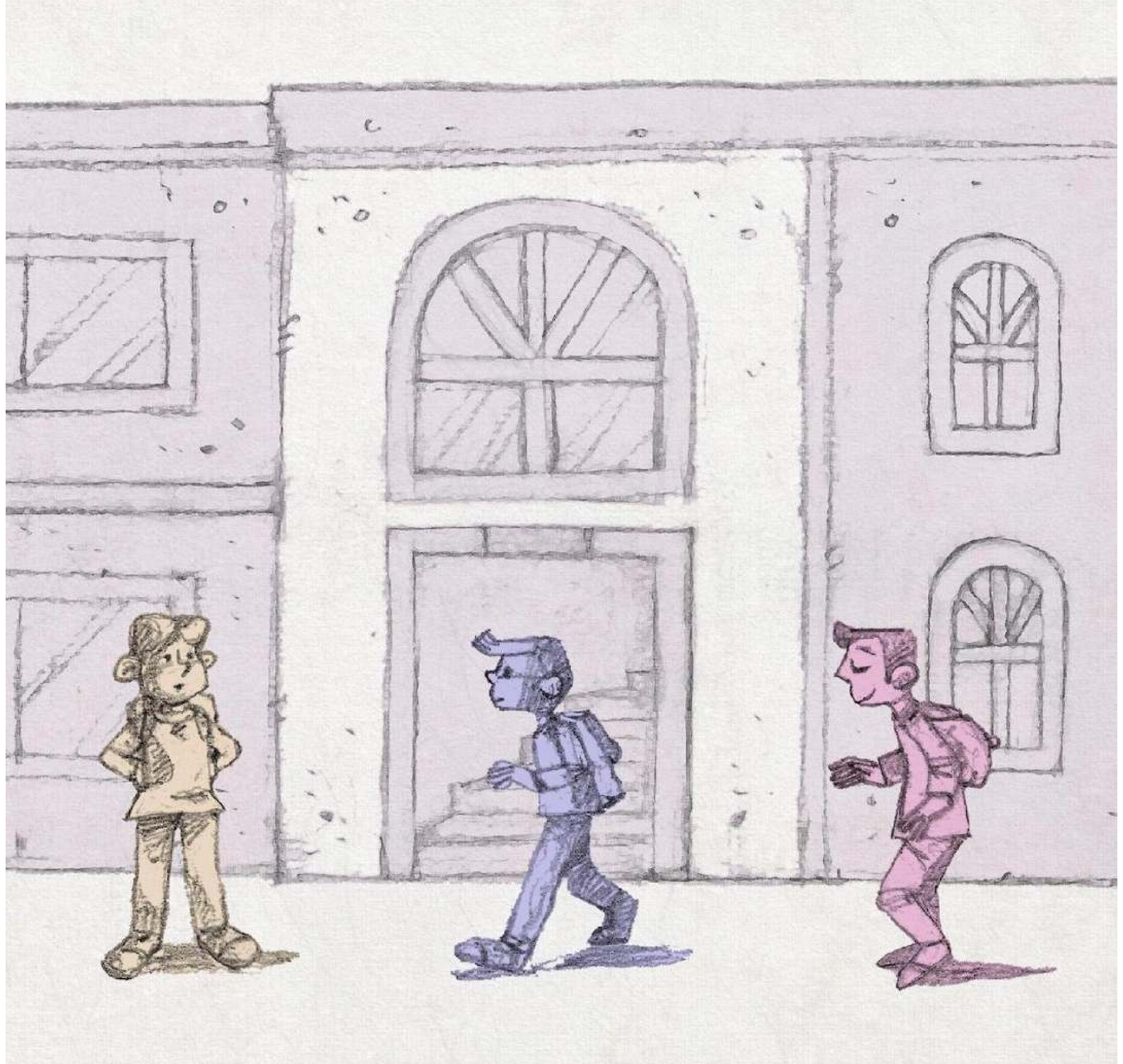


حكاية عن التنمّر

فِراس والدَّبور

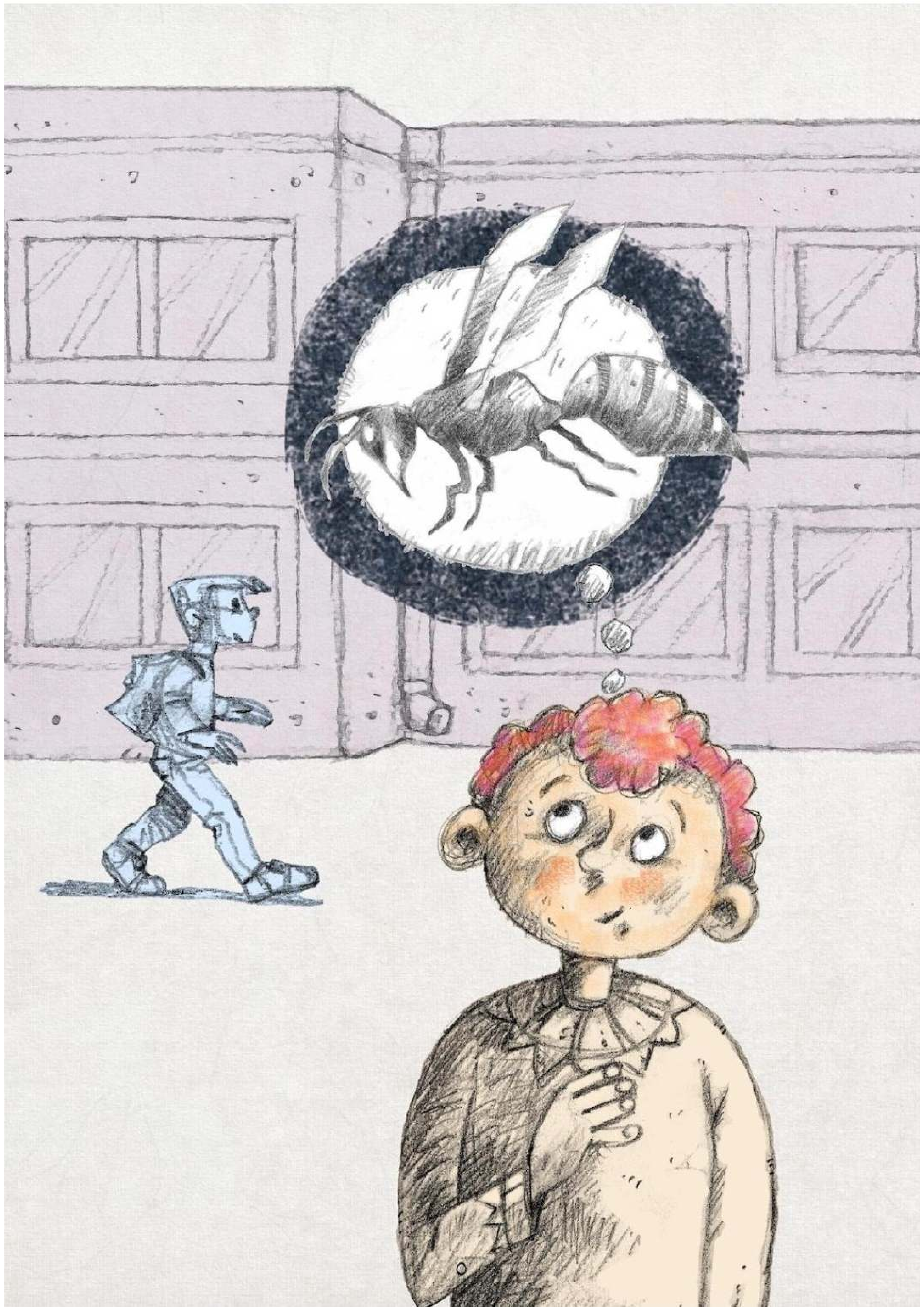
قصة: فاطمة فرحات

رسوم: علي شمس الدين



رَنَّ جَرَسُ الفُسحةِ، وجَلَستُ في المَلعَبِ أَنتَظِرُ وُصولَ طلالٍ. هذا اليومُ سَيكونُ حاسماً بالنِّسبةِ إلَيَّ، ومُفاجِئاً بالنِّسبةِ إلَيهِ. سأَثبُتُ على مَوقِفي حَتّى لَو قفزَ كالأَرنَبِ، أَو طارَ كالصّاروخِ.

بِالمُناسبةِ، طلالٌ هو دَبّورُ المَدرَسةِ!



بِالنِّسبةِ إِلَيَّ، أَحلى وقتٍ في المَدرَسةِ هو الفُرصةُ. أُحِبُّ أَن أَلعَبَ فيها وأَرتاحَ قَليلاً. والفُرصةُ هي الوقتُ الذي أَفتَحُ فيهِ حافِظةَ طَعامي، لآكُلَ ما لَذَّ وطابَ، وأَطَّلِعَ على الرِّسالةِ الّتي أَلصَقَتها لي أُمّي بِداخِلِها.

أَذكُرُ مَرّةً أنّها وضَعَتْ لي شَطيرةً، هي المُفضَّلةُ لديَّ: خُضَرٌ مُشَكَّلةٌ مَشوِيّةٌ ومُتبَّلةٌ بالفُلفُلِ اللّذيذِ، مَع عُلبةٍ فيها تُفّاحةٌ، وبِضعُ حَبّاتٍ مِنَ العِنَبِ. وإلى جانِبِها رِسالةٌ صَغيرةٌ رَسَمَتْ عَلَيها قَلباً أَحمَرَ، وكَتَبَتْ فيها:

«أَنتَ بَطَلي!».

أتذكَّرُ يَومَها كَم كُنتُ فَرِحاً!




أنتَ بَطَلي

في هَذا العامِ، تَغَيَّرَ كُلُّ شَيءٍ في مَدرَستي. حَصَلَ هذا مُنذُ أن أَصبَحَ طلالٌ تِلميذاً فيها. ولِسَبَبٍ لا أَعرِفُهُ، لَم يَكُن طلالٌ يُحِبُّ أَن يَرى أَحَداً سَعيداً.

في الفُرصةِ أَصبَحَ الوُقوفُ أَمامَ الدُّكّانِ مُغامَرةً خَطِرةً. فَطلالٌ لا يُحِبُّ الانتِظارَ، لِذلكَ يَتَجاوزُ صُفوفَ التّلاميذِ الواقِفينَ، وقَد يَرمي أَرضاً كُلَّ مَن يَسبِقُهُ إلى الشِّراءِ.

ومَعَ طلالٍ، تَحَوَّلَتْ لُعبةُ كُرةِ القَدَمِ في حِصّةِ الرّياضةِ إلى مُصارَعةٍ حُرّةٍ، فَهو يَجِبُ أَن يَحصُلَ عَلى الكُرةِ بِأَيّ طَريقةٍ.

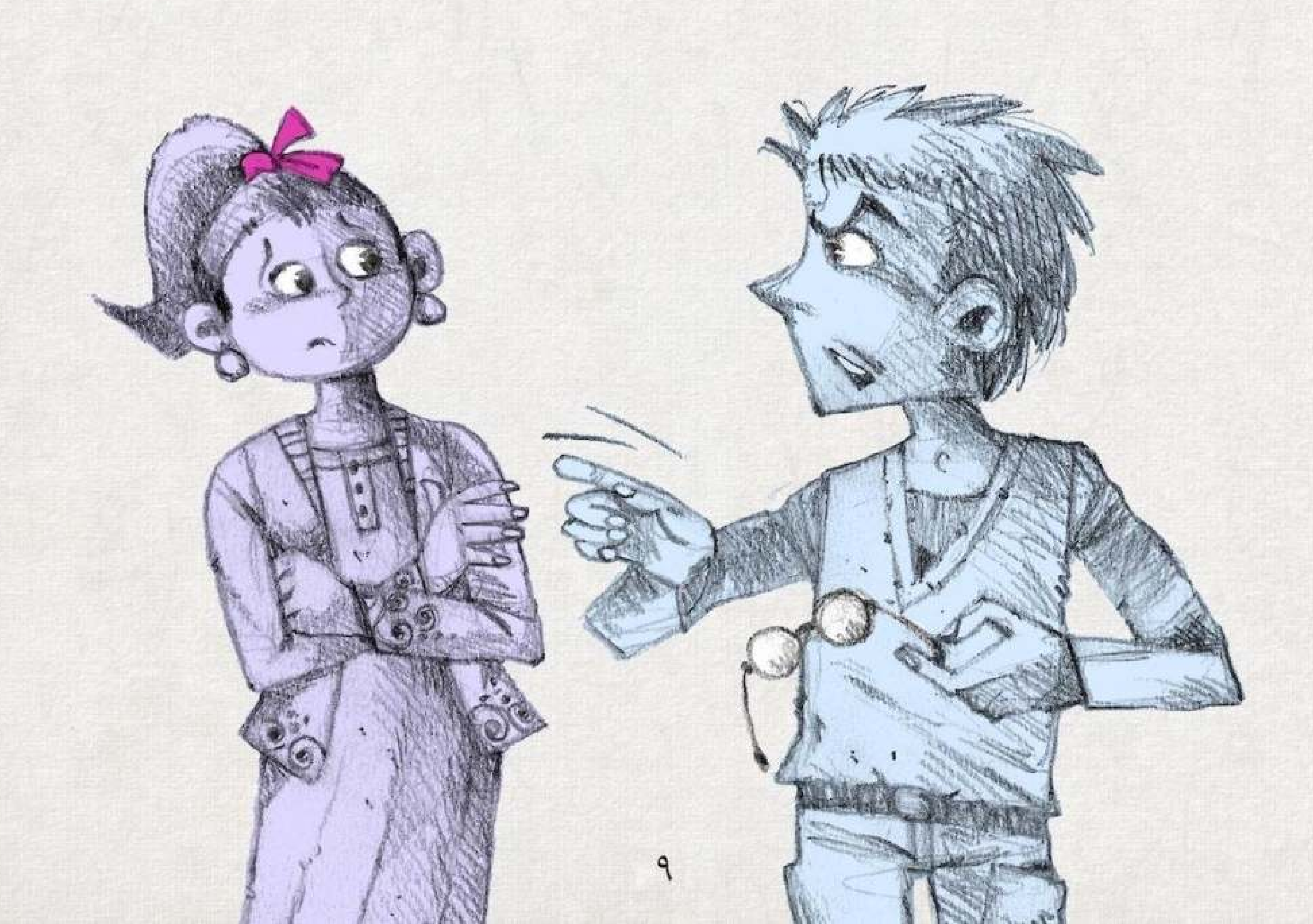


أَمّا حِصّةُ الرَّسمِ الّتي أَنتَظِرُها بِشَوقٍ، فَقَد كانَ طلالٌ يُمضيها بِتَجرِبةِ أَقلامِ التَّلوينِ عَلى أَغراضِنا وأَوراقِنا!

لم يَكُن طلالٌ يَهتَمُّ بِتَوبيخِ المُعَلِّمةِ لَهُ.

وحينَ تَجَرّأَتْ صَديقَتي سارةُ، وشَكَته إِلى النّاظِرِ، عادَتْ إِلى البَيتِ بِدونِ نَظّارَتِها. لَقَد رَأى طلالٌ أَنّها تَحتاجُ إِلى التَّنظيفِ، فَتركها عند المغاسِلِ..

هَكَذا وبِكُلِّ بَساطةٍ!



أَمّا أنا، فَلَم أَعُد أَهنَأُ بِشَيءٍ مُنذُ أَن خَطا طلالٌ داخِلَ مَدرَستي. فَهُو تارةً يَسخَرُ مِن شَعري الكَثيفِ، وتارةً مِنَ العِباراتِ الَّتي تَضَعُها لي أُمّي، وتارةً أُخرى مِن ثناءِ المُعَلِّمةِ عَليَّ لِتَفَوُّقي. والأَصْعبُ هو تَحكُّمُهُ بِطعامي.

تَصوّروا، لقد حَرَمَني طلالٌ مِن أَنْ أَجلِبَ معي شَطائري المُفَضَّلّةَ. وصِرتُ بَدَلاً منها، أَهتَمُّ بما يُحِبُّهُ هو مِن لَبنةٍ وجُبنةٍ مع خُضَرٍ مُحَدَّدةٍ، ومَمنوعٌ أَن يكونَ فيها أيُّ رشّةِ فُلفُلٍ أَو بَهارٍ.

كان طلالٌ يباغِتُني مِن وقتٍ لآخرَ، يَخطَفُ حافظةَ طعامي مِنّي، ويَأكُلُ ما فيها حَتّى آخرِ كِسرَةِ خُبزٍ، ثُمَّ يَرمي الوَرَقةَ الّتي لُفَّتْ بِها في وَجهي.

حاوَلتُ كَثيراً أَن أَهرُبَ مِن طَريقِهِ، لَكِنَّهُ دَوماً كانَ يَنجَحُ في اللَّحاقِ بي، والاسْتيلاءِ عَلى طَعامي.

واعتادَ طلالٌ هَذا التَّصَرُّفَ .



قَبلَ يَومَينِ، ولِلمُصادَفةِ، كانَ عَلَيَّ أَن أَهرُبَ مِن دَبّورٍ حَقيقيٍّ فاجَأني عِندَ بَوّابةِ المَدرَسةِ. خِفتُ وحاوَلْتُ الهُروبَ. لَوَّحتُ بِيَدَي لِكَي يَبتَعِدَ عني، ولَكِنَّهُ اقتَرَبَ أَكثَرَ. دَفَعْتُهُ بحَقيبَتي فَوَقَعَتْ مِنّي. ارْتَبَكْتُ وصِرتُ أَقفِزُ، حتى لا يَصِلَ إِلَيَّ، ولَكِنَّ الدَّبّورَ تَمَكَّنَ مِنِّي ولَسَعَني في قَدَمي.

وَصَلتُ إِلى البيتِ وأَنا أَبكي وأَصرُخُ مِن الأَلَمِ.. وقَدَمي تَوَرَّمتْ، وباتَتْ كَرَغيفِ الخُبزِ الطّازَجِ المَنفوخِ. حينَ رَأَتْني أُمّي أَسِفَتْ وقالَتْ: مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّكَ رَكَضتَ أَمامَ الدَّبّورِ حَتّى لَحِقَ بِكَ ولَسَعَكَ!

سَأَلتُها: كَيفَ عَرَفتِ؟!

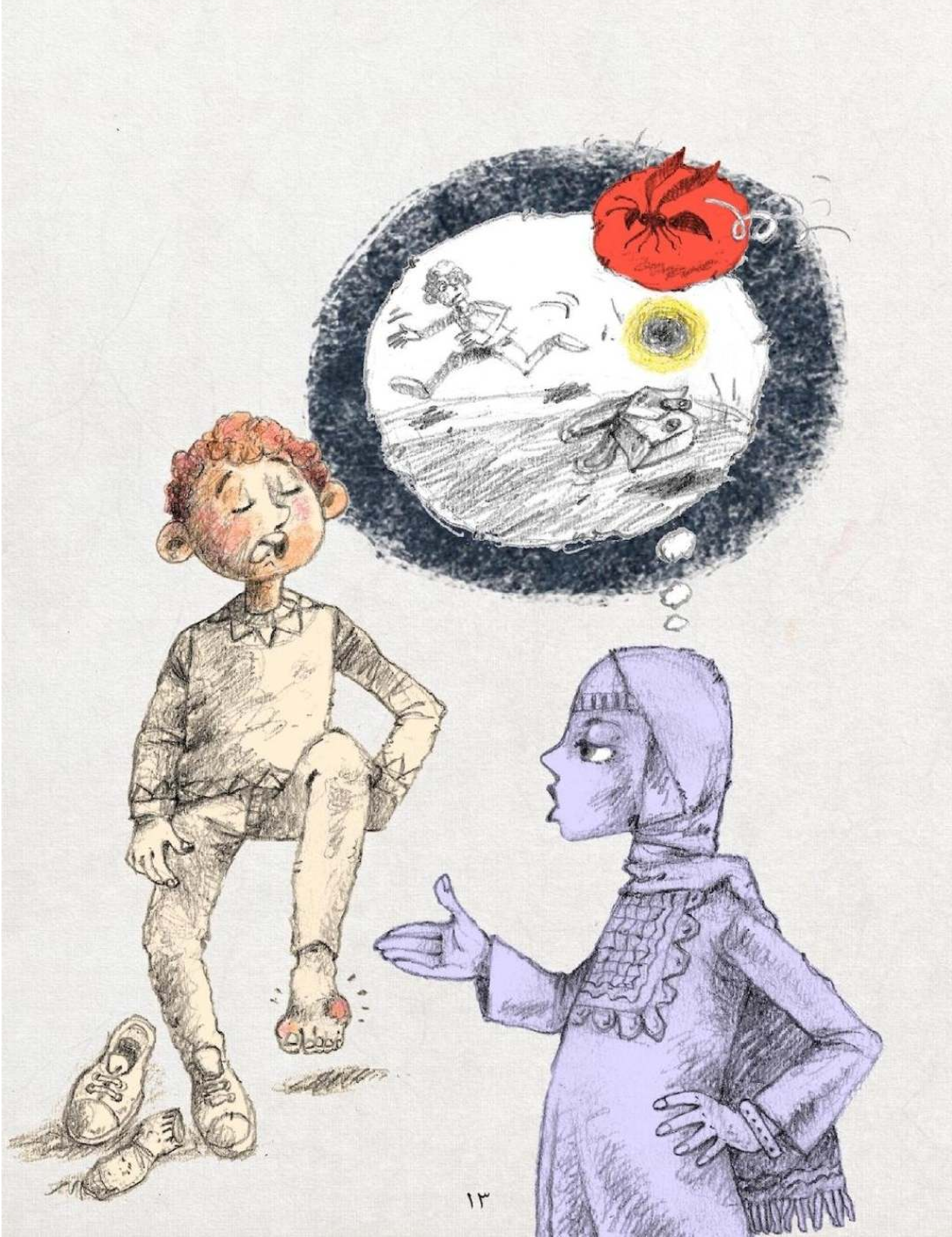
فَأَجابَت: الجَميعُ يَعرِفونَ أَنَّ الدَّبّورَ يَلحَقُ كُلَّ مَن يَهرُبُ مِنهُ، ويَلسَعُنا إذا ارْتَبَكْنا وتَحَرَّكنا كَثيراً .

– ماما! هَل تُريدينَني أَن أَقِفَ مَكاني وأَنا أَرى الدَّبّورَ يَقتَرِبُ مِنّي؟!

– لَو بَقيتَ مَكانَكَ ولَم تَتَحَرَّكْ، لَتَرَكَكَ الدَّبّورُ وشَأْنَكَ. قالَتْ ذَلِكَ وهي تَضَعُ الماءَ البارِدَ عَلى قَدَمي، لِتُخَفِّفَ مِنَ الوَرَمِ.

لَم أَكُفَّ عَنِ التَّفكيرِ في ما قالَتهُ أُمّي..

أَحَقّاً كُنتُ أَستَطيعُ النَّجاةَ لَو ثَبَتُّ في مَكاني؟



في اليَومِ التّالي، كُنتُ لا أَزالُ أُفكِّرُ كَم أَرعَبَني الدَّبّورُ، حَتّى قَبلَ أَن يَلسَعَني.. وكَيفَ يُمكِنُ لِحَشَرةٍ أَصغَرَ مِنّي بِكَثيرٍ، أَن تُخيفَني إلى هذِهِ الدَّرَجةِ؟! أكانَ يَجِبُ أَلّا أَهرُبَ، وأُحافِظَ على ثَباتي وشَجاعتي؟!

الأَمرُ ذكّرَني بِطلالٍ.. فَتَساءَلتُ: هل عليَّ التَّعامُلُ مَعَ طلالٍ عَلى هَذا النَّحْوِ أَيضاً؟!

لَم أَنتَبِهْ إِلى وُجودِ طلالٍ إِلّا عِندَما أَصبَحَ أَمامي. كَالعادةِ بَدَأَ بِالسُّخرِيةِ مِنّي قائلاً: كَيفَ حالُكَ يا صاحِبَ الشَّعرِ الإِسْفَنجِيِّ؟ مِنَ المُؤَكّدِ أَنَّ أُمَّكَ تَستَعينُ بِشَعرِكَ في جَلْيِ الصُّحونِ.. واقتَرَبَ مِنّي لِيَدفَعَني فَلَم أَهرُبْ. في الحَقيقةِ، حاوَلتُ أَن أَهرُبَ، لَكِنَّ خُطُواتي كانَت بَطيئةً، فَقَدَمي مُتورِّمةٌ، و«الشَّحّاطةُ» الّتي أَتَيتُ بِها إِلى المَدرَسةِ لَم تُساعِدْني عَلى الرَّكضِ..

وحَسَناً فَعَلتُ..!



تأمّلني طلالٌ ضاحِكاً: ما هَذا.. هَل لَسَعَكَ الدَّبّورُ، أَم هذا زِيٌّ مَدرَسِيٌّ جَديدٌ؟! هَل أَصبَحَ القُدومُ بِالشَّحّاطَةِ إِلى المَدرَسَةِ موضَةً؟! أوووه.. قَدَمُكَ كبالونٍ على وشكِ الانْفجارِ! ثم خَطَفَ الحافِظَةَ، واستَولى عَلى ما فيها. وكعادتِهِ الْتَهَمَ الشَّطيرةَ، ورَمى الورَقةَ في وجهي.



لَم يَرِفَّ لِيَ جَفنٌ. كُنتُ مُتَسَمِّراً كَالتِّمثالِ وأَنا أراقِبُهُ بِعَينَينِ غاضِبتَيْنِ. وانْتَبهتُ أنّي نَجَحتُ في الصُّمودِ، وعَدَمِ الهروبِ مِن أَمامِهِ.

ولَكِنْ ماذا بَعدُ؟

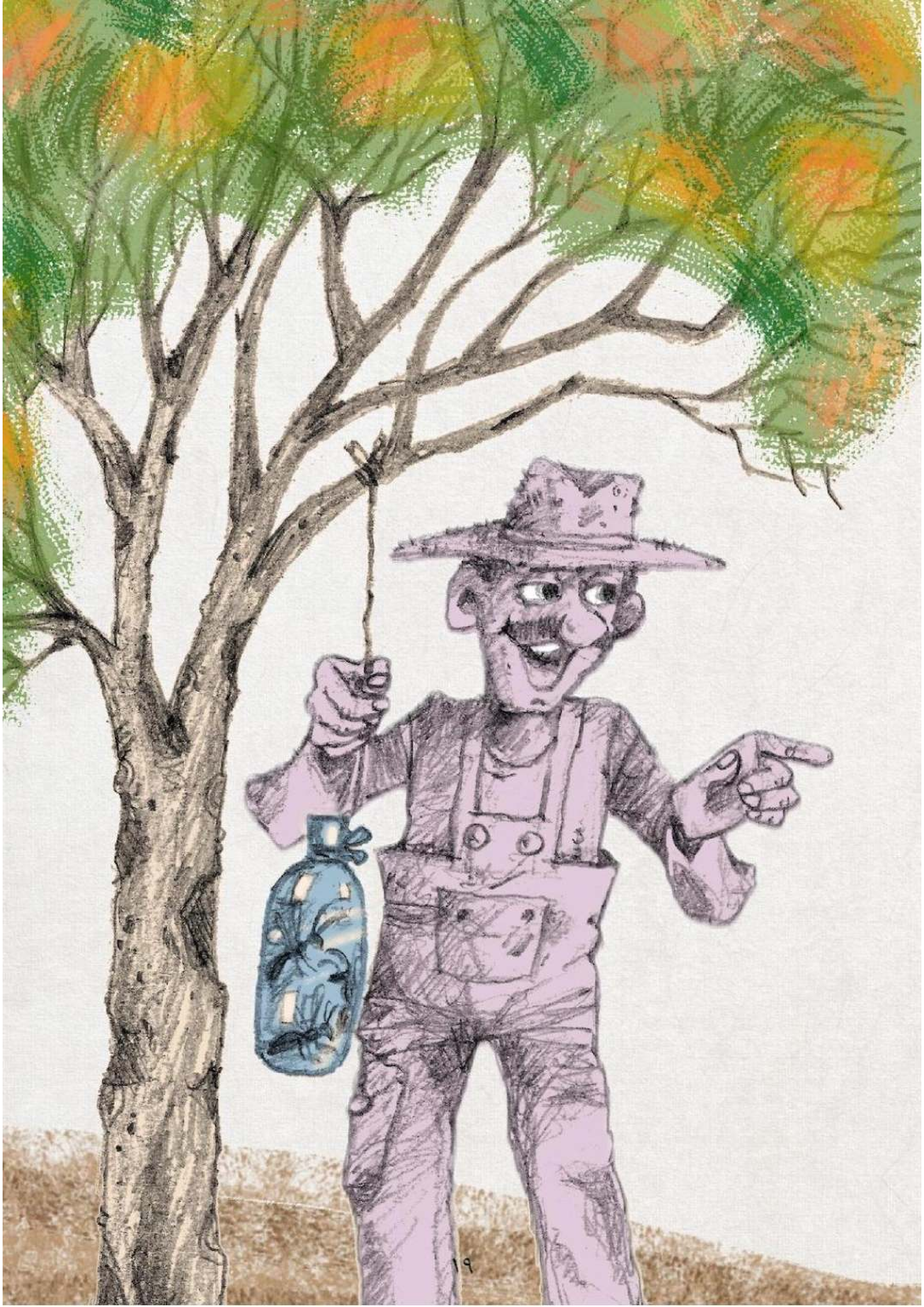


اِنقَضى ذلِكَ النَّهارُ، وحانَ وقتُ الاِنْصِرافِ. ناداني البُستانِيُّ الَّذي يَعتَني بِحَديقةِ المَدرَسةِ لِيَطمَئِنَّ عَلى قَدَمي: لا تَقلَق يا فِراسُ، لَقَد نَصَبتُ فَخّاً لِلدَّبابيرِ.

أَرانِيَ العَمُّ أَمينٌ قِنّينةً بلاستيكِيّةً مُعلَّقةً عَلى الشَّجَرةِ، وقَدِ امْتَلَأَ قَعرُها بِدَبابيرِ تَطفو عَلى سائِلٍ بُرتُقالِيٍّ، ما إِن رَأَيتُ شَكلَها حَتّى كِدتُ أَهرُبُ، لَكِنَّ العَمَّ أَميناً أَمسَكَ بي وهو يَضحَكُ: أَلَم تَتَعَلَّمِ الدَّرسَ بَعدُ؟! لا يَنبَغي لَكَ أَن تَهرُبَ مِنَ الدَّبابيرِ، ثُمَّ إِنَّها الآنَ لا تَستَطيعُ أَذِيَّتَكَ. حَدَّقْتُ فيها لِلحظاتٍ، وتَمتَمتُ: مَعَكَ حَقٌّ يا عَمُّ أَمينُ. شَكَرتُه ثُمّ انْصَرَفتُ..

ولَكِنّي كُنْتُ مَشغولَ البالِ.





في المَساءِ، وبَينَما أَنا مُستَلْقٍ في سَريري، كانَتِ الأَفكارُ تُلِحُّ عَليَّ : يَجِبُ أَلّا نَهرُبَ مِنَ الدَّبّورِ، بَل عَلَينا إِذا تَمادى أَنْ نُواجِهَهُ، ونَنصِبَ لَهُ فَخّاً.

دَخَلَت أُمّي الغُرفةَ، وسَأَلَتني: فِراسُ، ما بِكَ اليَومَ.. مُنذُ أَن جِئتَ وأَنتَ شارِدُ الذِّهنِ؟!

قلت لها : الدَّبّورُ!

ضَحِكَتْ وسأَلَتْني: ما بِهِ الدَّبّورُ، أَما زالَ يَشغَلُ بالَكَ؟!

ردَدْتُ: لا شَيءَ.. لا شَيءَ. تُصبِحينَ عَلى خَيرٍ يا أمي.

قُلتُ في نَفْسي: ولَكِن لا توجَدُ قِنّينةٌ بِحَجمِ طلالٍ! وعَلَيَّ أَن أُفَكِّرَ في فَخٍّ عَلى قِياسِهِ!

وبعدَ تَفكيرٍ لَمَعَتْ في ذِهني فِكْرةٌ، وبِكُلِّ شَجاعةٍ قَرَّرْتُ: الشَّطائِرُ هي الحَلُّ.. سأعودُ للشَّطيرةِ التي أُحِبُّها: الخُضَرِ المُتَبَّلةِ بالفُلْفُلِ اللّذيذِ، وليَحصُلْ ما يَحصُلُ.

تذكَّرتُ كَيفَ أَنَّهُ فَرضَ عليَّ مُنذُ البَدءِ أَنْ أُغَيِّرَها:

آه..لَو لَم أَرضَخْ وَقتَها، لَما وَصَلتُ إِلى ما أَنا عَلَيْهِ!



في الصَّباحِ بَدَأَ قَلبي يَدُقُّ بِسُرعةٍ وأَنا أَراهُ يَقتَرِبُ منّي، ويُشيرُ بِيدِهِ: اِبقَ جامِداً، ولا تَتَحَرَّكْ يا رَأسَ الإِسْفَنجةِ الحَمراءِ. هَل أَحضَرتَ شَطيرةَ الجُبنِ الّتي أُحِبُّها؟

- إِيّاكَ أَن تَقتَرِبَ مِنّي يا طلال! قُلتُ ذَلِك وأَنا أَحتَضِنُ حافِظةَ الطَّعامِ.

- أَصِرتَ تَعرِفُ كَيفَ تَرُدُّ يا دَلّوعَ المُعَلِّمةِ؟! أَجابَ طلالٌ وهو يَمُدُّ يَدَهُ.



- قُلتُ لَكَ دَعْ طَعامي وشَأنَهُ! إنْ أَخَذتَ طَعامي فَستَجِدُ ما لا يُرضيكَ، وما لا تُحبُّهُ. أَنا أُحَذِّرُكَ. قُلتُها وأَنا واثِقٌ.

بِالطَّبعِ، لَم يَكتَرِثْ طلالٌ لِنَظَراتي المُتَوعِّدةِ، وسُرعانَ ما استَولى عَلى حافِظةِ الطَّعامِ بِما فيها. ثَبَتُّ في مَكاني، وأَخَذتُ أُراقِبُهُ. اِبتَعَدَ قَليلاً، تَناولَ شَطيرةً وبَدَأَ يَلتَهِمُها. وفي لَحَظاتٍ، بَدَأَ يَقفِزُ كَالأَرنَبِ، ويزعَقُ كَالغُرابِ. أَسرَعَ يَشرَبُ مِن عَصيرِ الأناناسِ، لَكِنَّهُ ما إنِ ابتَلَعَ بَعضاً منه حَتّى انطَلَقَ كالصّاروخِ بَحْثاً عَن ماءٍ يَشرَبُهُ. يَبدو أنَّ طعْمَ الأناناسِ معَ الفلفلِ أَعطى هو الآخر طَعماً لاذِعاً!

مَرَّتْ بِضعُ دَقائقَ، وإذا بِطلالٍ الَّذي انطَلَقَ مُسرِعاً بَحثاً عَنِ الماءِ يَعودُ مُسرِعاً بَحثاً عَنّي، وهو يَصرُخُ بِأَعلى صَوتِهِ: سَأُريكَ يا فِراسُ! قالَها وهو يَهجُمُ بِاتِّجاهي كَثَورٍ هائجٍ.

وأنا ثابِتٌ في مكاني ..
ودَقّاتُ قَلبي تَتَسارَعُ.



تَجَمَّعَ الأَولادُ حَولي لِمَعرِفةِ ما يَجري. لَم يَقُلْ طلالٌ أَيَّ كَلِمةٍ، وانتَفَخَ وجهُهُ غَضَباً. صارَ الأَولادُ يَسأَلونَهُ عمّا جَرى لَهُ، ولَكِنَّهُ لَم يُجِبْهُمْ.

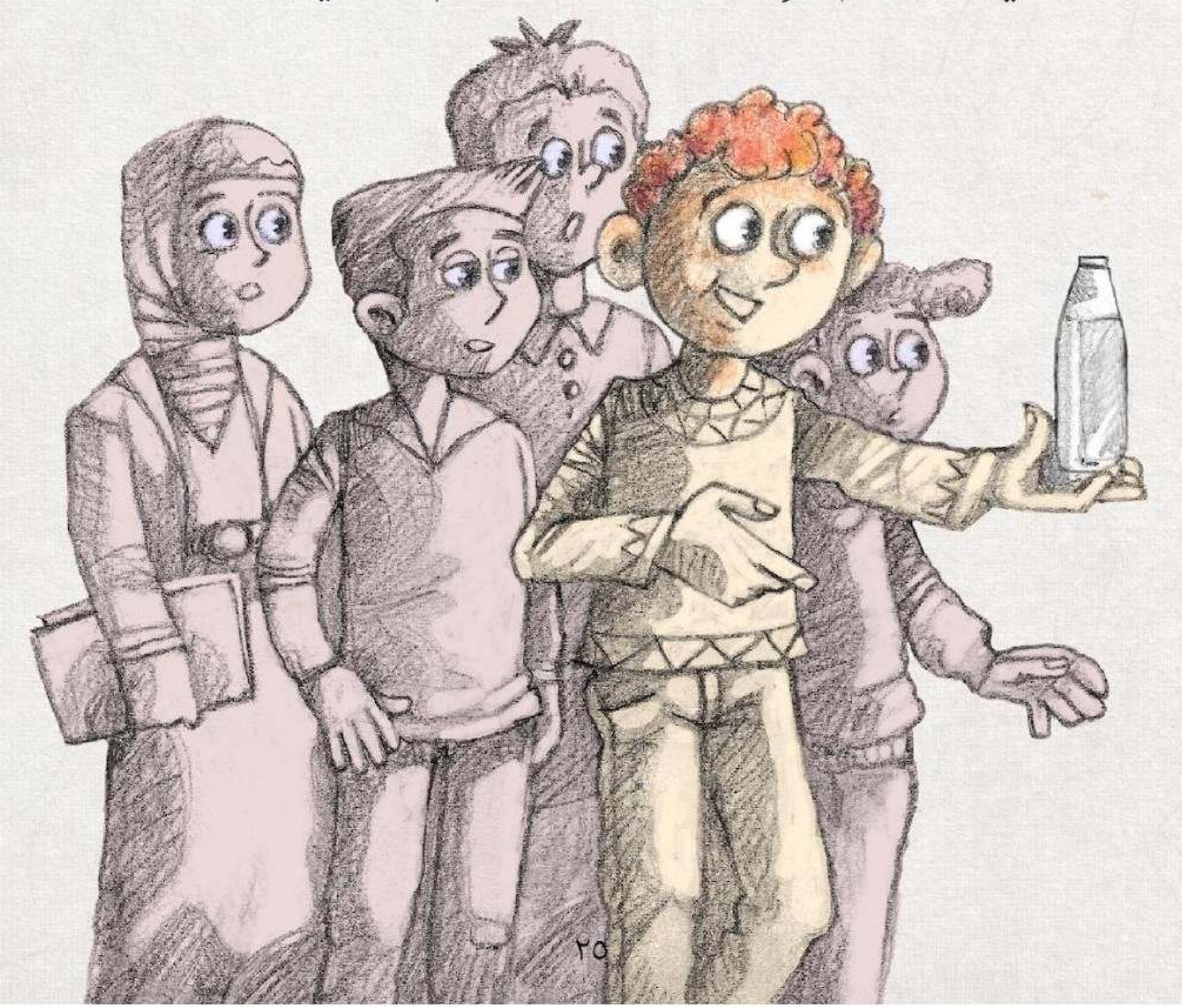
حَدَّقَ طلالٌ في وَجهي بِعَينَينِ حَمراوَيْنِ. لَم أَعرِفْ هَلِ اللَّونُ كانَ بِسَبَبِ غَضَبِهِ، أَمْ بِسَبَبِ الفُلفُلِ الّذي أَكَلَهُ.



اِنتَظَرَ الجَميعُ خُطوةَ طلالٍ التّالِيةَ، وأَفسَحَ البَعضُ المَجالَ لِلعِراكِ الّذي سَيَقَعُ. لَكِنَّ طلالاً تَراجَعَ إِلى الوراءِ. ومَعَ عِبارةِ: سَأُرِيكَ يا فِراسُ، أنتَ خَدَعتَني، رَكَضَ مُبتَعِداً، باحِثاً عَنْ مَزيدٍ مِنَ الماءِ.

ومِنْ كَثرةِ ما راحَ ورَجعَ، شَعَرتُ بِهِ كالدَّبورِ عالِقاً في الفخِّ. خاطَبْتُهُ: لَم أَخدَعْكَ يا طلالُ بل حَذَّرْتُكَ، ولَن يُفيدَكَ الغَضَبُ الآنَ، بَلْ خُذْ هَذا بَعضُ اللَّبَنِ الذي سَيُخَفِّفُ عنْكَ، ومعي كَعكةٌ مُحَلّاة سَأُشارِكُكَ بَعضاً منْها عِندَما تَهدَأُ.

في لَحظَتِها، لم أَدْرِ هل كانَ طلالٌ ضَعيفاً، أَم أَنا الّذي صِرتُ قَوِيّاً!





بَعدَ الحادِثةِ، أَخبَرتُ صَديقي سامِراً بِما حَصَلَ، فَسَأَلَني: لَكِنْ، أَتَظُنُّ أَنَّ طلالاً سَيَكُفُّ عَنْ أَخذِ طَعامِكَ بَعدَ اليَومِ؟

- لا أَعرِفُ، لَكِنّي أَظُنُّهُ سَيُفَكِّرُ كَثيراً، قَبلَ أَن يَفعَلَ ذَلِكَ..

- ماذا تَقصِد؟

- ما أَعرِفُه هو أَنَّني لَن أَسمَحَ للدَّبّورِ بِأَنْ يَلسَعَني مَرّةً أُخْرى.





فراس والدّبور

قصة: فاطمة فرحات

رسوم: علي شمس الدين

الفئة العمرية: 9 سنوات وما فوق

التنفيذ: دار الحدائق

الطبعة: الأولى 2018

ISBN: 978-614-439-118-1

هذا الكتاب متوفّر على منصّة Google play

ص.ب. 25/216 بيروت، لبنان هـ : 821679 1 961+ 840389 1 961+

فـ: 840390 1 961+ البريد الالكتروني: alhadaek@alhadaekgroup.com